نقد بوبر للمنهج التاريخي وتطبيقاتها من وجهة نظر فلسفة العلوم...دراسة تحليلية نقدية.

حسن حسين صديق
كلية التربية الاساسية والعلوم الانسانية/ جامعة رابةرين

الملخص

إن موضوع فلسفة التاريخ من وجهة نظر الفلسفة البوبرية لها موقعها الخاص في الفلسفة المعاصرة.وذلك لان بوبر صاحب مشروع فلسفي خاص تسمى " العقلانية النقدية"،أي أن بوبر يحصر موضوعه قيد الدراسة في زاوية ويستعرض جميع الاجوبة والحلول المقترحة ثم يعطي رأيه حولها.وقد جاءت دراستنا تحت عنوان " نقد بوبر للمنهج التاريخي من وجهة نظر فلسفة العلوم"، لاشك أن من أراد ان يفهم موقف بوبر من التاريخ فعليه أن يتطلع أو يقرأ بوبر من زواية فلسفة العلم والمنطق الرياضي.لهذا حاولت التوفيق بين الجانبين قدر الامكان من اجل إعطاء واضحة لموقفه.

حيث جاءت دراستنا في مبحثين رئيسين، تناولنا في المبحث الاول موقف بوبر من المنهج التاريخي مستعرضين رأيه من خلال التمييز بين منهج كتابة التاريخ ومنهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية تحت عناون فرعي " المنهج التاريخي وسمات العلم" الغاية منها الاجابة عما إذا كان التاريخ تسمى علماً أم لا؟ وقد اعتمدنا على بعض المفاهيم المستخدمة في العلوم من قبيل " الحتمية – التنبؤات".نحن نعلم أن العلوم الطبيعية كما يقال تعتمد في تفسيراتها على مبدأ الحتمية والتنبؤات.وهذه في الوقت الحاضر مسألة فيها نظر. ثم عرضنا لموقف بوبر من مذهب "التاريخانية" مذهب هؤلاء الذين يؤمنون بالنزعة الحتمية لتفسير الاحداث التاريخية ونقد بوبر لهم.ومقارنة ذلك بالعلوم الاجتماعية والطبيعية.

وتناولنا في المبحث الثاني تحت عنوان " التاريخ ومشكلة التنبؤات وقابلية تكذيب النظريات" موضوع عدم الامكان بالتنبؤات عن الاحداث التاريخية وبيان أسبابها المنطقية.وعلاقة ذلك بالتصور الخاطئ للمنهج العلمي والتعميم والموضوعية ومدى قابلية تطبيقها في العلوم الاجتماعية ومنها التاريخ. وعرضنا في نهاية البحث موضوع لابد من تناوله وهي " قابلية تكذيب النظريات" لان بوبر اشتهر من خلالها وحاول أن يميز بين العلم واللاعلم عن طريق ذلك المعيار.

الهدف من البحث: إن موضوع فلسفة التاريخ من زاوية بوبرية مهم جداً لانه يعطينا تصور خاص مبني على المنطق والعلم عن التاريخ من جهة، ومن جهة اخرى، رأيت من الضروري أن نقدم كارل بوبر كفيلسوف معاصر للتاريخ فهو معروف في الاوساط العلمية والفلسفية بإنه فيلسوف علم .إضافة إلى أهمية منهجه في التفكير ذات الابعاد التطورية والنقدية والعقلانية.

أما بخصوص منهج البحث الذي أعتمده الباحث فهي المنهج التحليل العرضي .وقد حاولت ان أعرض وجهة نظر بوبر ومن ثم تحليله وفق للاطار العلم لفلسفته.

أخيرا لايسعنا إلا أن أقدم شكري وإمتناني للقائمين على تحضير هذا المؤتمر العلمي في جامعة كركوك

المبحث الاول: موقف بوبر من المنهج التاريخي العلمي.

١- المنهج التاريخي وسمات العلم:

يستهل بوبر كتابه (عقم المذهب التاريخي) بهذه المقولة " ليس هناك حتمية في سير التاريخ" ، أي أن بوبر لا يؤمن بالنزعة التاريخية القائلة بحتمية التاريخ لان التاريخ عبارة عن تأويلات أو اتجاهات أو رغبات وهذه جميعا بعيدة عن الموضوعية وحتى عن مبدأ الحتمية. ويقدم بوبر تعريفا للمذهب التاريخي بقوله " إن التاريخانية مذهب هؤلاء الذين يؤمنون بحتمية التاريخ، أي ان التاريخ عبارة عن نزعة أو ميل). ولكن ما السبب في قول التاريخانين بالحتمية؟ يرى بوبر ان النجاحات الباهرة في مجال العلوم الطبيعية والتطورات التي حصلت دفعت بكارل ماركس أن يقول ب (التطورية في الواقع الاجتماعي)، أي ان ما حدث في مجال العلوم الطبيعية عكسها علماء العلوم الاجتماعية على واقع علومهم من اجل إضفاء الطابع العلمي على تفسيراتهم. ولكن بوبر يجد بان حجتهم في هذا ضعيفة لان من سمات العلوم الطبيعية تكذيب وتصويب نظرياتها باستمرار وجوهر تطورها وتغيرها تكمن في صيرورة واستمرارية تكذيب نظرياته. والسؤال الذي يطرح نفسه هي: هل العلوم الاجتماعية تتسم بهذه الميزة؟.

حيث تناول بوبر في مؤلفاته التاريخ من حيث المعنى والمفهوم و المنهج وفي رأيه ان ما نسميه بفلسفة التاريخ يدور دائما حول ثلاثة اسئلة كبرى متمثلة ب:١- هل هناك خطة للتاريخ؟ ٢- ما فائدة التاريخ؟ ٣- كيف ينبغي علينا كتابة التاريخ، أو ما هو منهج التاريخ؟ (١).

ونحن الذي يهمنا في هذا المبحث هو السؤال الثالث الخاص بالمنهج الذي يستخدمه التاريخ حتى يكون واضحا ما نبغي اليه من تبيان علمية التاريخ من لا علميته وفق المنظور البوبري للتاريخ.من هنا نطرح السؤال الجوهري الخاص بالعلاقة بين العلم والتاريخ من حيث سمات المنهج العلمي، ونقول ما المنهج الذي يمكن للتاريخ ان يستخدمه في كتابة احداثه؟ هل هي نفس المنهج المستخدم في العلوم الطبيعية؟ وللاجابة عن هذه الاسئلة نحاول أن نستعرض فلسفة (كارل بوبر) في هذه المسألة.

إننا نعلم جيدا ان كتابة التاريخ يتطلب من المؤرخ ان يكون موضوعية وان يوضح دائما متى أضاف ارءا شخصية حول أمور سياسية واخلاقية ،لان أراءه واقتراحاته ليس لها نفس الطبيعة التي لمزاعمه حول الوقائع التاريخية (٢).أي أن المؤرخ عندما يريد ان يضيف شيئا من معلوماته الذاتية على الحدث اثناء كتابته يكون سببا في غموض حقيقة الحدث، وكما يكون سببا في فقدان الدقة والموضوعية مما يصعب بعد ذلك التحقق منه او اختباره مع وقائعه الاصلية. فعدم إمكانية اختبار النظريات التاريخية راجعة الى الوقائع التاريخية نفسها لانها غالبا ما تكون محددة جدا ولا تسمح بتكرارها او إحداثها مرة اخرى، كما تتم جمعها وفقا لوجهة نظر محددة من قبل. إذ بدون ما يعرف بمصادر التاريخ فقط تلك الوقائع التي كان تدوينها مهما بشكل كاف بحيث غالبا ما تتضمن هذه الوقائع التي تتفق مع نظرية محددة من قبل،وما دام لا يوجد في متناول أيدينا وقائع اخرى ، فلن يمكننا إختبار هذه النظرية او نظرية اخرى (٣).

ولكن الاقتراحات والاراء والفروض التي يضعها المؤرخ كتنبوءات لا يمكن أن تكون موضوعية او علمية، لان من حيث المبدأ يكون من الممتنع إمكان وضع تنبوءات علمية غير مشروطة فيما يتعلق بالتاريخ البشري، أما فكرة ان نجاح التنبؤ بالكسوف يقدم أملا في نجاح التنبؤ بتطور التاريخ البشري فقد تبين أنه يقوم على سوء فهم فادح،وانه مغلوط تماما. يقول بوبر في " الحدوس الافتراضية والتفنيدات " : " إن واقعة أننا نتنبأ بظواهر الكسوف والخسوف لا تقدم إذن مبررا صحيحا لان نتوقع أن بامكاننا أن نتنبأ بالثورات " (٤). نعم صحيح أنه لا يمكننا معرفة المستقبل ، لكن علماء

الاجتماع أمضوا الكثير من الوقت، وبذلوا الكثير من الجهد لاطلاق التوقعات المختلفة، حيث أننا نلتمس من كلام (كارلوس فيلاس) الذي يقول : " من الخطير أن نقيم احتمال الثورة في أي وضع معين، ولا يمكن حسم المسألة الا في حالة حصلت الثورة المتوقعة، ومن ثم القيام بذلك "(٥). (ص١١ مستقبل الثورات). يتبين من خلال ما تقدم ان مسألة التنبؤ أو التكهن بحدوث اية ثورة في المستقبل مهما كان توقعات العلماء في هذا الخصوص تتمتع بالدقة والموضوعية إلا أنها لم تؤتى ثمارها إن لم يقع الحدث كما هي حال توقعات العلماء حيال حدوث الثورات وهذا راجع الى اسباب تتعلق بالجانب الشخصي أو الاجتماعي أو السياسي للعالم.

من هنا نجد بوبر في تفنيده للمذهب التاريخي يقول: " ومن ذلك الحين وفقت الى تفنيد المذهب التاريخي، إذ بينت أنه يستحيل علينا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ، وذلك لاسباب منطقية بحته،... ويمكن حصر الدليل في القضايا التالية:

١- يتاثر التاريخ الانساني في سيره تاثرا قويا بنمو المعرفة الانسانية.

٢- لا يمكن لنا بالطرقة العقلية أو العلمية، أن نتنبأ بكيفية نمو معارفنا العلمية.

٣- إذن فلا يمكننا التنبؤ بمستقبل سير التاريخ الانساني.

وهذا معناه أننا يجب أن نرفض إمكان قيام تاريخ نظري،أي قيام علم تاريخي اجتماعي يقابل علم الطبيعة النظري. ولا يمكن ان تقوم نظرية علمية في التطور التاريخي تصلح أن تكون اساسا للتنبؤ التاريخي (٦). والنقطة الحاسمة في هذه الادلة هي النقطة الثانية التي تقول بأستحالة التنبؤ بنمو المعرفة. وذلك أنه إذا أمكن التنبؤ بالمعرفة المستقبلية فانها تكون بحوزتها " الان " ولن تكون مستقبلية. إذا أمكننا التنبؤ بالمكتشفات المستقبلية فانها تكون مكتشفات (حاضرة). من ذلك يترتب أنه اذا كان المستقبل يشتمل على اية مكتشفات هامة على الاطلاق فان من المحال التنبؤ بها علميا، حتى لو كانت محتمة بمعزل عن الرغبات الانسانية (٧). ولكن إننا نعلم حتى في العلوم الطبيعية ان العلماء كثيرا ما يستخدمون تنبؤاتهم بالمكتشفات والظواهر العلمية، فهل نستطيع أن نقول أن تلك المكتشفات إذا ما تنبأ به العالم تكون حاضرة امامه ولا يعد بالتالي اكتشافا ومن ثم تقدما وتطورا؟

إذن الاختلاف الموجود لحد الان بين التاريخ والعلم (العلم الطبيعي) من حيث المنهج هي في مسألة الموضوعية والتنبؤات لاننا نعلم أن في العلوم الطبيعية يستطيع العالم أن يكون موضوعيا ومتنبأ بحدوث الظواهر، إضافة الى أن هناك إختلافا أخر بين العلم والتاريخ من حيث المنهج ويرجع الى ان المنهج المزعوم للعالم المحترف هو : يبدأ من ملاحظات ، ويلاحظ، ويواصل الملاحظة. والمنهج المزعوم للمؤرخ المحترف هو : يبدأ من الوثائق، يقرأ الوثائق ، يواصل قراءة الوثائق. حيث نجد بوبر يقول بهذا الخصوص : " ينبغي علينا في تفهمنا للتاريخ إعادة بناء موقف المشكلة الذي وجد الشخص الفاعل نفسه فيه، وان نرى كيف ولماذا شكل تصرفه حلا للمشكلة كما تراءت له "(٨).إلا أننا في العلوم الطبيعية نبدأ من الملاحظة ونسير في طريق الاستقراء الى النظرية. ألا يبدو واضحا أننا في التاريخ نسير في مسار مختلف تماما؟ نعم أننا نسير في مسار مختلف تماما وحتى في العلوم الطبيعية ايضا. إننا نبدا في كليهما من اساطير، تكدرت بفعل خطا، ومنها نواصل المسير عن طريق النقد : عن طريق الاستبعاد النقدي للاخطأ (٩).

٢-التاريخانية وموقف بوبر منها.

نجد ان بوبر يستخدم مصطلح (التاريخانية) كثيرا في مؤلفاته ويراه في صورتها الكلية خطيرة على العلم عامة وعلى العلوم الاجتماعية خاصة، حيث ميز بين اتجاه ينزع الى معارضة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية وبين اتجاه اخر ينزع الى تأييد تطبيقها. إن لفظة التاريخانية الذي اختاره بوبر هي محل تأويلات مختلفة بين المفكرين. فهي عند بعضهم تعني عدم الايمان باية حتمية مطلقة او اية نزعة غائية. فهي عند بوبر طريقة في معالجة العلوم الاجتماعية تفترض أن التنبؤ التاريخي هو غايتها الرئيسية، كما يفترض إمكان الوصول الى هذه الغاية بالكشف عن القوانين أو الاتجاهات أو الايقاعات التي يسير التطور التاريخي وفقها. وبهذا يكون للتاريخ معنى أو مفتاح. ولكن عند بوبر أن التاريخ لا يحمل معنى ولا مفتاحا، وان ما يميز العلم هو طابعه التكنلوجي التجريبي وليس الطابع الكلي كما تزعم التاريخانية(١٠). إذن لا معنى للتاريخ الا ما نضفيه عليه نحن من معنى. حيث نجد بوبر يقول " إن كل ضروب سوء الفهم يمكن أن ترد الى ضرب واحد، هو الاعتقاد بأن ((الاتفاق)) يتضمن العشوائية؛ أي اننا اذا كنا احرارا في اختيار أي منظومة نحبها من المعايير فان أي منظومة اتفاقي أو اصطناعي يدل على ان الامر سينطوي على عنصر عشوائي مؤكد؛ أي قد يكون هناك منظومات مختلفة من المعايير ليس بينها شي عظيم لكي نختاره، غير أن الاصطناعية لا تتضمن العشوائية التامة باي شكل من الاشكال .(١١).

ولكن بوبر في كتابه (بحث عن عالم افضل) يدعو الى أنه من الممكن أن يكون للتاريخ معنى ولكن ليس عن طريق قوانين تاريخية صارمة يخضع لها مسيرة التاريخ او يرسم للتاريخ مستقبله كما يدعي اصحاب النظرة التاريخانية. وان هذه النظريات يرفضها بوبر حيث يقول : " إنني متفائل فقط بالنسبة لقدرتنا على ان نتعلم من الماضي والحاضر، ان نتعلم ان كثيرا من الاشياء الطيبة والخبيثة كانت ممكنة وستظل، وان ليس ثمة من سبب يدعونا للتخلي عن الامل والكفاح والعمل من اجل عالم افضل.(١٢). من هنا نجده يرفض فكرة وجود قانون كلي صارم نفسر به التاريخ.

ونفس هذه المشكلة نجده ايضا في العلوم الانسانية عامة، لاننا نجد الصعوبة في تطبيق المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية والسبب هو عدم مقدرتنا، في الميادين الاجتماعية على تحقيق الظروف التجريبية نفسها المتكررة الواحدة تلو الاخرى، وهذا في نظر بوبر فيه شي من الحقيقة، على الرغم من اننا لا نشك في وجود بعض الاختلافات من هذه الجهة بين كل من المنهج الطبيعي والمنهج الاجتماعي(١٣). الا اننا نجد ان اصحاب المنهج التاريخي اساءوا فهم مناهج التجربة في العلوم الطبيعية حيث عبر بوبر عن هذا بقوله: " إن ما اوكده ان ليس ثمة وجود لمنهج علمي أو تاريخي أو فلسفي يساعدنا في أن ننتج ما يشبه تلك التنبؤات التاريخية الطموحة التي تسبب اشبنجلر في زيادة المطالبة بها " (١٤).

من هنا نجد ان السبب في عدم تكرار الحوادث في التجارب الاجتماعية راجعة بالدرجة الاولى الى الظروف الخاصة بكل حادثة، لانها قد تتغير من وقت لاخر، فظروف التجربة الثانية لا تكون شبيهة بظروف التجربة الاولى، وليس في الامكان تكرارها في ظروف متماثلة، فنشبهه " بالكائن العضوي " إلا انه من الممكن أن نطبق تكرار التجربة على " حياة الانسان البيولوجية " عند الكلام عن الكائن العضوي، ولكن لا يمكن لنا ان نطبقها على سير التاريخ والتنبؤ به في المستقبل.(١٥). من هنا نجد ان بوبر يعبر عن هذا الموضوع بقوله: " إن التكرار الحقيقي ممتنع في التاريخ الاجتماعي...، نعم إن التاريخ قد يعيد نفسه– ولكنه لا يعيد نفسه أبدا في نفس المستوى" (١٦). إضافة الى رفض بوبر لوجود قوانين بالامكان صياغته للمجتمع والتنبؤ بالمستقبل، فالتاريخ لا يقوم على العلل، " وذلك لانه قد لا يوجد

من المواقف الاجتماعية ما يصح تفسيره بتلك القوى المعينة التي كشفنا عنها، غير الموقف الواحد المعين الذي وفقنا الى تفسيره. وقد تكون هذه القوة فريدة في نوعها: أي أنها لا تظهر إلا مرة واحدة " (١٧). يظهر مما تقدم أن بوبر يبعد عن التاريخ كثير من سمات العلم من الموضوعية والقدرة على التنبؤ وعدمية تكرار حوادثها وقيامها على العلل، ولكن في نفس الوقت نحن لا نستطيع ان نسلخ التاريخ من علميته، فهو علم كاي علم اخر ، من حيث قدرته على عرض المعرفة بصورة منسقة ومرتبة وذات منهجية في العرض حتى وإن كان فيه بعض المبالغات ، من هنا نستطيع أن نضفي صفة العلم على التاريخ(أي النسقية والتراتيبية في عرض معلوماته) وان كان فيه شي من عدم الدقة، وحتى هذا نجده في العلوم الطبيعية المعاصرة مثل النظريات التي تتناول الذرة المعروفة ب(نظرية الكوانتم).

المبحث الثاني: التاريخ ومشكلة التنبؤات وقابلية تكذيب النظريات.

١-التاريخ ومشكلة التبؤات:

إن الاهمية القصوى والبالغة للتنبؤ في دائرة العلوم الطبيعية لانجده في العلوم الاجتماعية، أي أننا نواجه صعوبه في إمكانية تحقيق التنبؤ في تلك العلوم. وذلك بسبب تعقد الابنية الاجتماعية، من هنا نجد أن بوبر يوضح لنا موقفه من مسألة التنبؤ في العلوم الاجتماعية من عدمه، حيث يقول : " نحن بازاء نوعين من التعقيد- تعقيد ناشئ عن استحالة العزل الصناعي، وتعقيد راجع الى ان الحياة الاجتماعية ظاهرة طبيعية تفترض الحياة النفسية للافراد، أي علم النفس، وهذا بدوره يفترض علم الحياة الذي يفترض هو الاخر علمي الكيمياء والفيزياء" (١٨). إذن من خلال هذا النص يتبين لنا أن صعوبة واستحالة التنبؤ في العلوم الاجتماعية راجعة الى الترابط الموجود بين اية حادثة اجتماعية كونها ترتبط بالحياة الانسانية من جهة، والتداخل الموجود بين العلوم الاخرى من بيولوجيا وكيمياء وفيزياء والهندسة الوراثية من جهة اخرى يجعل من تحقيق التنبؤ بوقوع الحادثة عملا صعبا إن لم يكن مستحيلا. والموضوع الاساسي الذي يعارضه بوبر هو عنصر التنبؤ أو النبوءة التاريخية ، فهناك ميلا أو اتجاها معينا في حركة تطور التاريخ، وبالتالي يمكن أن نتنبأ بوجهته في المستقبل، ويتمثل هذا في رأي (توينبي) الذي يعتقد بأن المجتمعات في حالة تطور مستمر، أي في حالة ديناميكية، وهذا هو قانون حركتها. واننا نجد ان هذه الافكار مقلدة للعلوم الطبيعية مثل الديناميكا والتطور، وكلها نابعة من العلوم الطبيعية(١٩).

وفي رأي بوبر أن هذه الاراء تستند الى سوء فهم جسيم لمنهج العلم، وخصوصا الى تجاهل التمييز بين التنبؤ العلمي والنبوءة التاريخية.ولكن لو أننا تطرقنا الى اساس العلوم الطبيعية وبين اختلافه عن اساس العلوم الاجتماعية ربما نصل الى حقيقة ما يقوله بوبر بشأن هذا الموضوع.

إننا نعرف بالاجماع أن العلوم الطبيعية تقوم اساسا على الملاحظة ومن ثم التجربة، أما التاريخ فلا يمكن ان يصل الى مرتبة التجربة، كما انه يستحيل صياغة الملاحظات التي يقوم عليها علم الاجتماع في شكل قوانين دقيقة، فحوادث المجتمع ليست إلا تقرير زمني لحوادث أي وقائع سياسية واجتماعية. من هنا نجد أن بوبر يعلن عن استعداده لكي ينقد المذهب التاريخي ورفض مقارنته بالعلم الطبيعي فيقول : " أنا على استعداد لان انقد المذهب التاريخي باعتباره منهجا يعجز عن امدادنا بما يدعيه من نتائج " (٢٠). كما أننا نواجه مشكلة اخرى في التاريخ الا وهي مشكلة (التعميم)، لاننا لا نستطيع ان نطبق التعميم على التاريخ مثلما نطبقه على العلوم الطبيعية وهذا يعتمد على اطراد الحوادث

الطبيعية بصورة عامة، لان كل الاشياء التي نفترضها في هذا العالم تعتمد على العلة والمعلول، اما في التاريخ فاننا نجد ان الظروف المتماثلة لا تقوم الا في الفترة التاريخية الواحدة، ولا تستمر على حالتها مدة من الزمن بشكل متتابع مثلما نلاحظه في تتابع الحوادث الطبيعية . من هنا نجد ان بوبر يشير الى : " ان جميع التعميمات ، أو أهمها، في العلوم الاجتماعية، لا تصدق الا على الفترة التاريخية المعينة التي اجريت فيها المشاهدات المتصلة بهذه التعميمات "(٢١).

ولكن هناك من يصر على ان باستطاعة العلوم الاجتماعية ان تتبع طريقة التعميم، الا ان هذا الاصرار ينشأ عنه نظرية كاذبة ومضللة الى حد كبير وذلك لانها نظرية تنكر على المجتمع ان يتطور. ولكن هناك ايضا من يقول بقوانين اجتماعية ثابتة من حيث انها نتيجة حتمية لقوانين الطبيعة الثابتة ، فلجأ البعض الى ما اسموه ب(قوانين الاقتصاد الصارمة) للبرهنة على بطلان التدخل بالتشريع القانوني في المساومة حول الاجور بين العامل وصاحب العمل. ومنهم من قبل بفكرة ثبات القوانين الاجتماعية لتبرير الواقع على نحو اخر مثل تحمل الامور في هدوء كونها حتمية.إلا أن الاطرادات الاجتماعية تختلف من فترة تاريخية الى اخرى، والنشاط الانساني هي القوة التي تعمل على تغييرها، كونها من صنع الانسان.

إذن نستطيع القول بان دراستنا للظواهر التاريخية والاجتماعية يفتقد الى الموضوعية العلمية لان فيها جانب من ذاتية الباحث او العالم فتجعل من حدوث الظاهرة امرا حتميا ويظهر بالتالي قانون التتابع بين ظواهرها مما يدفعنا الى القول بالتعميم، وهذا بعيد جدا من منطق العلم والعقل. كما ان الادعاء القائل بالتعميم وثبات القوانين الاجتماعية هي بحد ذاته يخالف احد السنن الكونية والانسانية المتمثلة بقانون التغير او التحول او التبدل الذي نشهده ونلاحظه باستمرار لاننا لا نستطيع ان نتمسك بقانون ونخضع له مسيرة المجتمع او التاريخ دون الاخذ باسباب التغير الحاصل في حياة المجتمع الانساني. من هنا نجد ان بوبر يقول بأن : " الاطرادات الاجتماعية تختلف تماما عن الاطرادات في العلوم الطبيعية، وذلك لان فتراتها التاريخية مختلفة، والنشاط الانساني هو سبب تغيرها، لاختلافها عن الطبيعة الانسانية، لان الانسان هو الذي اوجدها "(٢٢).

ويصر بوبر ايضا على عدم امكانية اجراء التجارب المفيدة في علم الاجتماع كما يحدث في العلوم الطبيعية، باعتبار ان التجارب الاجتماعية ليست تجارب بالمعنى الطبيعي، لان المطلوب منها ليس تطور المعرفة وتقدمها، بل تخدم تحقيق نصر سياسي ، ولا يمكن لهذه التجارب أن تجري في المختبر بعيدة عن العالم الخارجي، حيث يقول بوبر: " لا يمكن اجراءها بنفس الظروف الاجتماعية ذاتها، لان هذه الظروف تتغير بعد وقوعها لأول مرة))(٢٣). من هنا نجد أن بوبر يرى بأن التغير إنما ينتج عن محاولاتنا لحل مشكلاتنا ، وأن محاولاتنا لحل مشكلاتنا تتوقف على اشياء لا يمكن التنبؤ بها،منها: الاختيار، الصدفة، التطور، ونحن مسئولون من بين هذه الاشياء عن اختيارنا. فاذا كان هناك مسير حقيقي للتاريخ فانه نحن! نحن الذين نسير التاريخ في تفاعلنا بعضنا مع البعض ومع البيئة المادية ومع العالم. من هنا هاجم بوبر جميع النظريات التاريخية(التاريخانية) وقد خص منها الماركسية التي تدعي أن التاريخ يمضي وفقا لقوانين علمية، واننا بمعرفة هذه القوانين يمكننا أن نتنبأ بالمستقبل.(٢٤).

الا أن بوبر يدحض هذا الرأي ويقدم حجته بأنه يستحيل التنبؤ بالمعرفة المستقبلية ، لان التنبؤ بالمستقبل يعني أن تكون المعرفة بحوزتنا الان ، وبهذا لن هذا التنبؤ مستقبلية. فمن هنا نستطيع أن نقول أن الاكتشافات والنجاحات

والتطورات السريعة الذي حدثت داخل النظريات العلمية في العلوم الطبيعية وما أحدثته من تغييرات في بينة معارفنا عن الكون والطبيعة والانسان كانت سببا ودافعا منطقيا لكي يدفع (ماركس) الى القول ب(المذهب الاجتماعي العلمي) ومن اتى بعده كانت ظنهم بأن العلوم الاجتماعية موكولة بالكشف عن قانون تطور المجتمع حتى يتنبأ بمستقبله.لان (ماركس) قد ظن أنه عثر على (قوانين حركة المجتمع) مثلما عثر (نيوتن) على قوانين حركة الاجسام الطبيعية. وهو ظن يقوم فهم خاطئ للمجتمع، فالمجتمع ليست له حركة شبيهة بحركة الاجسام أو مماثلة لها على أي نحو من الانحاء، فمثل هذه القوانين لا يمكن أن يكون لها وجود. (٢٥).

إذن التنبؤ في مجال كلا العلمين (الطبيعي والاجتماعي) يتطلب من المشاهد الموضوعية والحيادية وعدم التحيز والتحزب لآية فكرة او جهة أو مؤسسة، وحتى هذه الموضوعية المثالية لا نجد له مثيل في العلوم الطبيعية لاننا لو اعتمدنا كل الاعتماد على نزاهة العالم عن الهوى والذاتية، لآستحال العلم تماما ، بما في ذلك علم الطبيعة. ولكن هناك اختلاف في الدرجة الموضوعية بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، لان قيمة الموضوعية العلمية تكمن في ادراك واختبار النظريات العلمية وإمكانية إعادة التجربة والحكم عليها. إلا أن التنبؤ في العلوم الاجتماعية أو التاريخ يكون بعيدا جدا عن الدقة والتحديد.(٢٦).

من هنا نستطيع أن نقول إن التنبؤات التي تحدث في مجال العلوم الاجتماعية أو في مجال التاريخ لا يتميز بالدقة والموضوعية ولا نابعة من خطوات المنهج العلمي، بل هي أمر صدفة بحتة لا يمد بصلة بالموضوعية العلمية بالنسبة للمؤرخ أو العالم الاجتماعي. لان المؤرخ في تنبؤه قد يؤثر هو نفسه في الحوادث المتنبأ به،وبالتالي تنتفي الموضوعية، إن المؤرخ في تنبؤه قد يسبب التسرع في حدوث المتنبأ به ، أو قد يمنع وقوع الحادث الذي يقول إنه أت لا ريب فيه، وهذا يعني إنه أنحرف عن الموضوعية العلمية، وذلك لانه قد يكون عمل على الاتجاه الذي يفضله شخصيا. في حين أن المطلوب من العلم هو الحكم على الموضوعات حكما محايدا لا يتأثر بالتوجيهات الذاتية للباحث.(٢٧).

٢-قابلية تكذيب النظريات:

اشتهر كارل بوبر بين الفلاسفة والعلماء والمؤرخين بمعياره المتميز في فلسفة العلم المسمى ب(قابلية التكذيب)، حيث طبق هذا المعيار على النظريات العلمية وفروضها وتوصل الى أن النظرية تكون علمية فقط في حالة تكذيبها، أي إذا ما كذبت فروضها فهي نظرية علمية. ومعيار التكذيب عنده يرتبط بتصوره لكيفية نمو العلم ومفهومه لمنهج العلم،ويرى أن هدف العلم الاقتراب من الصدق، ولا يتأتى له ذلك عن طريق التحقق ولا عن كثرة البينات المؤيدة،حيث أن التطور العلمي عنده، تطور ثوري وليس تراكمي، فالنظريات المكذبة ترفض وتحل بدلا منها نظريات اخرى قابلة للتكذيب بدورها، وهكذا حتى يصل الى الهدف الذي ينشده وهو الاقتراب من الحقيقة، أي البحث عن النظريات التي تتفق بطريق أفضل مع الوقائع، لان منهج العلم هو المنهج القائم على التخمينات الجسورة والمحاولات المتكررة لرفض تلك التخمينات.(٢٨) .ان العلوم الطبيعية هي العلوم القابلة للتكذيب، حيث يقول بوبر إن المعيار قد أوضح أن العلماء الطبيعيين يصوغون فروضا للطبيعة، ثم يحالون تفسيرها في ضوء الواقع، وأن هذا الامر لا ينطبق على العلوم

التاريخية، فليس ممكنا ان يضع المؤرخ فرضياته في ضوء الاحداث التاريخية، على الرغم من وجود الاختلاف بين طبيعة العلمين.

لان قابلية التكذيب معيار يفرق بين النظريات العلمية وغير العلمية، فانه نظرية علمية لها نتائج تجريبية محددة، بحيث اذا لم تحدث هذه النتائج فيجب الغاء هذه النظرية أو مراجعتها، وبطريقة أخرى فأن النظريات العلمية تخضع للاختبار التجريبي، وعندما تظهر سلبية واحدة عند الاختبار فلا يمكن للنظرية أن تستمر.(٢٩).

إلا أن موضوع علم التاريخ كما هو معروف لنا جميعا عبارة عن احداث منفردة نهتم بأسبابها وبتفسيرها وبنتائجها،وهي بهذا تناقض العلوم الطبيعية والبيولوجية، فهي علوم تعميمية لا تهتم بأية احداث مفردة، بل بالقوانين العامة الكلية التي تحكمها. والتاريخ يماثل هذه العلوم في أنه يفترض ضمنا قانونا عاما، ولكنه يختلف عنها في أنه يحاول أن يفسر في ضوئه الحدث المنفرد المطروح للدراسة(٣٠). كما ان نظريات تاريخية غير القابلة للاختبار في نظر بوبر، ما هي الا ((أشباه النظريات)) وهي مختلفة تماما عن النظريات العلمية القابلة للاختبار والتكذيب، وهي مجرد سرد للحوادث التاريخية كان قد وضعها المؤرخ الذي اعدها ومن الاستحالة إذن إختبارها أو تكذيبها. من هنا سمى بوبر النظريات التاريخية باسم(تأويلات) وليس نظريات علمية، فهي نظريات غير قابلة للتكذيب،إلا أنه من الممكن لوقائع تاريخية ما ان تلائم تأويلات عدة،لكن من جهة أخرى من المستحيل الحصول على وقائع أكثر تمثل تجربة فاصلة كالوقائع التي تكذب النظريات الطبيعية كنظرية (كيبلر و نيوتن)(٣١). إذن من حيث المبدأ نرى ان بوبر يرفض علمية النظريات التاريخية وفق معياره في التكذيب والسبب في عدم إمكانية اختبار النظريات التاريخية راجعة الى الوقائع التاريخية نفسها لانها غالبا ما تكون محددة جدا ولا تسمح بتكرارها أو إحداثها مرة أخرى . كما تتم جمعها وفقا لوجهة نظر محددة من قبل. إذ بدون ما يعرف بمصادر التاريخ فقط تلك الوقائع التي كان تدوينها مهما بشكل كاف بحيث غالبا ما تتضمن هذه الوقائع التي تتفق مع نظرية محددة من قبل. وما دام لا يوجد في متناول أيدينا وقائع أخرى، فلن يمكننا اختبار هذه النظرية أو نظرية غيرها(٣٢). الوقائع التاريخية الموجودة لدينا محددة لا يمكن ان تعاد أو أن ننجزها كما نشأ، أي لا يمكن اختبارها لا سيما وان هذه الوقائع نفسها قد جمعت تبعا لوجهة نظر سالفة.من هنا يستحيل أن يكون التاريخ علما، لانه يستحيل أن يضع نظريات قابلة للاختبار والتكذيب . والسبب في هذا، هي أنه بالامكان لوقائع تاريخية معينة أن تلائم تأويلات عدة، فمثلا، قد يتبنى مفكر تأويلا يقول إن التاريخ يسير نحو مزيد من الحرية ويتخذ من تحرير العبيد تأييدا لنظريته، وقد يتبنى مفكر أخر تأويلا أخر يقول إن التاريخ يسير نحو مزيد من العبودية، ويتخذ من التفرقة العنصرية تأييدا لنظريته. وهذان التاريخان لا يتنازعان بل هما مكملان لبعضهما، فهما تاريخ منطقة واحدة هي الولايات المتحدة الامريكية، فقط منظورا اليه من زاويتين مختلفتين. وليس هناك أي تأويل حاسم ونهائي لان التاريخ ليس له أي معنى محدد.(٣٣).

الخاتمة.

لقد حاولنا في دراستنا الموسومة (نقد بوبر للمنهج التاريخي وتطبيقاتها من وجهة نظر فلسفة العلوم...دراسة تحليلية نقدية) أن نبين الفهم الخاطئ للتاريخ بين العلم واللاعلام.وقد توصلنا من خلال عرضنا لسمات المنهج بين العلم والتاريخ وكانت النتيجة بإن التاريخ وفقاً للمنهج العلمي لاتعتبر علماً بسبب الاختلاف بينهما في امور عديدة اهمها

خطوات البداية في البحث التاريخي تختلف عن خطوات البحث في العلم الطبيعي.اضافة الى مسالة التنبؤات ايضا،ففي التاريخ لايمكن لنا ان نتنبئ بسير الاحداث التاريخية مثلما هي دارجة في مجال البحث العلمي.

ولنفس الاسباب رفض بوبر النظرة التاريخانية–الحتمية للاحداث التاريخية واعتبرها غير علمية وفقا لمعاييره الخاصة.

وتوصلنا الى ان الفهم الخاطئ بين العلماء الاجتماعيين ونظرتهم الى العلوم الطبيعية وقرأتهم للاحداث التارخية والسياسية...دفعهم الى القول بان المؤرخ يستطيع ان يتنبأ بالمستقبل وكيفية سير التاريخ.هذه النظرة الحتمية المستمدة من نجاحات العلوم الطبيعية دفع بهم الى قول ذلك.وقد بين بوبر خطاهم فيها.

واخيرا اثبت بوبر وفقا لمعياره (قابلية التكذيب) وهي معيار هدفها التمييز بين العلم واللاعلم أو القضايا العلمية وأشباه القضيا من خلال قدرة فرضيات تلك النظريات للتكذيب،فكلما كانت النظرية قابلة للتكذيب كلما كانت علمية وهذا ما لم نجده في العلوم الاجتماعية والتاريخ.

قائمة الهوامش

١) بوبر، كارل ، اسطورة الاطار ،ترجمة،يمنى طريق الخولي،سلسلة عالم المعرفة ،الكويت،٢٠٠٣،٢٩٢ ، ص ١٥٩ .
٢) بوبر، كارل ، الحياة بأسرها حلول لمشاكل، ترجمة، د. بهاء درويش ، منشأة المعارف بالاسكندرية، بدون تاريخ، ص ١٨٣ .
٣) نفس المصدر ، ١٩١ .
٤) ٤– مصطفى ، عادل ، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونضرة العقل ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٨٢ .
٥) ٥– مستقبل الثورات ، ص ١١ .
٦) ٦– مصطفى ، عادل ، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونضرة العقل ، مصدر سابق، ص ١٧٩ .
٧) ٧– بوبر ، كارل ، عقم المذهب التاريخي ، ترجمة، عبدالحميد صبرة، الاسكندرية، منشاة المعارف، ١٩٥٩ ، ص ٧–٨ .
٨) ٨– بوبر ، كارل ، اسطورة الاطار ، مصدر سابق ، ص ١٧٧ .
٩) ٩– نفس المصدر ، ص ١٧٠ .
١٠) ١٠– خيربك، فؤاد محمود ناصيف، من الابستيمولوجيا الى المجتمع – التاريخانية والمجتمع المفتوح عند بوبر ، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٢ ، ص ١١٨–١١٩ .
١١) ١١– مصطفى ، عادل ، كارل بوبر مائة عام من التنوير...، مصدر سابق، ص ١٨٢–١٨٣ .
١٢) ١٢– بوبر، كارل ، بحث عن عالم افضل ، ترجمة، احمد مستجير، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١ ، ص ١٧٧ .
١٣) ١٣– علي، حنان عواضة، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر بين التجربة والميتافيزيقا، دار الهادي ، بيروت – لبنان، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ص ١٨٢ .
١٤) ١٤– بوبر، كارل، بحث عن عالم افضل ، مصدر سابق ، ص ١٧٧ .
١٥) ١٥–عواضة، حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق ، ص ١٨٤–١٨٥ .
١٦) ١٦– بوبر، كارل ، عقم المذهب التاريخي ، مصدر سابق ، ص ٢٠ .
١٧) ١٧– نفس المصدر ، ص ٢٢ .
١٨) ١–عواضة، حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق، ص ١٨٦ .

١٩) نفس المصدر ، ص ١٦٦ .
٢٠) بوبر، كارل ، عقم المذهب التاريخي، مصدر سابق ، ص ٧٨ .
٢١) نفس المصدر ، ص ١٢٣ .
٢٢) بوبر، كارل ، عقم المذهب التاريخي ، مصدر سابق ، ص ١٧ .
٢٣) بوبر، كارل ، عقم المذهب التاريخي ، مصدر سابق ، ص ١٩ .
٢٤) مصطفى، عادل ، كارل بوبر مائة عام من التنوير ونضرة العقل ، مصدر سابق ، ص ١٧٨ .
٢٥) مصطفى ، عادل ، كارل بوبر مائة عام من التنوير...، مصدر سابق، ص ١٨٠.
٢٦) عواضة، حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق، ص ١٨٨ .
٢٧) عواضة ، حنان علي ، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق ، ص ١٨٩ .
٢٨) ١١-عوض، عادل، منطق النظرية العلمية المعاصرة وعلاقتها بالواقع التجريبي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٥ ، ص ٢٧٢ .
٢٩) -عوض، عادل، منطق النظرية العلمية المعاصرة، مصدر سابق، ص ٢٧٢ .
٣٠) ١٣-الخولي، يمنى طريف، فلسفة كارل بوبر (منهج العلم – منطق العلم)، الهيئة المصرية العامة للكاتب، ٢٠٠٣ ، ص ٤٦٧ .
٣١) ١٤-عواضة، حنان علي، النزعة العلمية في فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق ، ص ١٩١-١٩٢ .
٣٢) ١٥- بوبر، كارل ، الحياة باسرها حلول لمشاكل، مصدر سابق ، ص ١٩١ .١٦-الخولي، يمنى طريف ، فلسفة كارل بوبر، مصدر سابق ، ص ٤٦٩ .

" The abstract of this research"

This research contain analysis studying to the attitude " Karl Popper" from the history subjectivity and methodically .He is reject if there is any determination in progress of the history events like when made in natural science we cant test historical theories for proof his scientific, because if consider his view rather than to be subjectivity. We studied his attitude from " predict" , Popper makes a comparison between the natural science and history from the method ,we knew that these predicts and ability to some extent in the natural science like physics, but its impossible to predict historical events or historical development to human phenomena in any time. Prediction is phenomena take place in future it mean it is present now and it isn't mean declare the passive thing rather than it is clear for us.

We show Popper opinion through "Historicism" he rejected to be purpose to it total view and determinate for reality , this is mean we cant command judgment totally and absolutely from our history studying about the future, but we are benefit from history to make future at the best way and shape, when Popper cant consider history as a science ,his standard here is his science method and his steps ,from his method we cant consider history a science like physics . But when we look at the history in a good way like a theatre to show knowledge in clear way and systematic and in tidy way .

Popper considered the consciousness of more of scientist and Historians and their admire to the natural science and his successful and shine work ,the main reason of their said of the determination theory to the happened of the events in the future . and their continuous of the prediction subject in field of progress historical events . and added to it the problem of generalization its depend on take the natural events out side and its depend on principle of cause and effect . and it isn't mentioned in history . because the historical events don't continuous in his state of period of time in sequence shape as we see it in the sequence natural events because in the historical research frequently the self research enter the subject of the research and it was lose objectivity, neutrality in the study of the events . so that the historian must be honest . tester and he must be a sequence of all changes and developments that's make in continuous , and that he must give the flag of historical events in objective shape if it isn't like this it lost the scientific shape . we studied the standard of denial (falsification) theories for distinguish between the science and non science depend on standard it cant test the historical theories in experimental and logical way . so that history doesn't consider as a science . Popper tried to give do all science the real space or real field and tried to declare his method and his subject as in the real way . the aim popper isn't to for the social science for circle knowledge but he wanted to declare the substance different between the all knowledge field.